من التقويم الشامل إلى المعجم المدرسي

د. علي بن صالح الخبتي

عملت مع معالي أ. د محمد بن أحمد الرشيد وكيلاً مساعداً للدراسات والبحوث التربوية، وكان من أبرز المهام التي أنيطت بي:

١ ـ إدارة التعليم في منطقة تبوك لمدة ٨ سنوات، منها سنة بعد تعيين الدكتور الرشيد وزيراً.

٢ ـ تأسيس إدارتين عامتين للتقويم الشامل للمدرسة: واحدة في تعليم البنين، وأخرى في تعليم البنات.

٣ ـ رئاسة مشروع هو الأول من نوعه في تاريخ اللغة العربية، (كما أشار العلامة أحمد رشاد الحمزاوي المعجمي التونسي المشهور) هو إعداد معجم لغوي لطلاب التعليم العام، يموّل مناصفة من قبل وزارة التربية والتعليم، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

٤ ـ مرافقة الدكتور الرشيد في بعض الزيارات داخل المملكة وخارجها، والمشاركة في بعض اللقاءات والاجتماعات بصحبة الصف الأول من المسؤولين في الوزارة.

٥ ـ المشاركة في الاجتماع التواصلي الأسبوعي الذي يُعقد في كل أربعاء.

٦ ـ مشاركة فريق محدود العدد من وزارتي التربية والتعليم، والتعليم العالي لعمل دراسات خاصة طلبها المقام السامي من وزارة الخارجية.

٧ ـ المشاركة في فريق رفيع المستوى لإعداد دراسة خاصة عن إدخال اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية.

وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد للبحوث التربوية بالتطوير التربوي سابقاً.

بـدأت علاقتي مع الدكتور الرشيد بعد صدور الأمر السامـي بتعيينه وزيراً للمعارف بثلاثـة أيـام، وذلك في شهر ربيـع الأول من عام ١٤١٦هـ باتصال هاتفـي كنت أتوقع أن يستمر أقل من دقيقة لتهنئته، ولم أتوقع أن تتجاوز المكالمة حدود المجاملة كأول اتصال بيننا.. لكنني فوجئت بموقف مختلف وجو مختلف وشخص مختلف.. فوجئت وكأن الذي يحدثني يعرفني منذ زمن.. وفوجئت بسؤال عن مدى استعداد المنطقة التي أدير التعليم فيها لاستضافة أول لقاء حقيقي لمديري التعليم (سمي لقاء قادة العمل التربوي لاحقاً)، وزاد زمـن المكالمة عـن الوقت الذي كنت أتوقعه. حدثني خلالها عن اتصال حميمي مع أمير المنطقة.. وعن عقده العزم على عقد أول لقاء لمديري التعليم في تبوك، وفي اليوم اللاحـق حدثـت أمير المنطقة عن محادثتـي معه وعن الخبر السعيـد بعقده العزم على عقـد أول لقاء لقادة العمل التربوي في منطقتنا، وكان الحديث لحضور بعض المدعوين فـي ذلك اللقاء، وكان سمو الأمير سعيداً بكل ذلـك، وكانت ترتيبات رحلتي الصيفية مع العائلة قد تمت واستأذنت للسفر.

استعـدت المنطقة للعرس التربوي، وكنـا مبتهجين مسروريـن، وعرضنا منجزاتنا التـي كان من بينها إدخال التقنية في الأعمال والمهام التربوية، ومنها الاتصال المباشر بيـن الإدارة فـي المركز وبقية المدارس داخل المدينة وفـي بقية مدن المنطقة، وكذلك اتصـال المدارس بعضها ببعض عن طريق الحاسـب الآلي، وعرضنا نماذج لذلك.. كما عرضنا تحويل الشؤون المالية والإدارية والاتصالات إلى نظام رقمي.

وانتهى اللقاء وانتهى الفصل الدراسي الأول من عام ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ، وانتهى معه عملي في المنطقة.

اتصـل بي الدكتور الرشيـد قبيل نهاية الفصل، وأخبرني بقـراره إنهاء عملي مديراً للتعليـم ورغبته في نقلـي إلى مكتبه، فرجوتـه أن أعود إلى العمل الأكاديمـي أستاذاً في كليـات المعلميـن على أن يصدر قراره بالتفرغ العلمي لمدة عـام أقضيه في جامعة ولاية ميتشجـن الحكومية بالولايـات المتحدة الأمريكية في البحـث العلمي كتعويض عن ثمان

سنـوات قضيتهـا في العمـل، الذي أظـن أن المنطقة استفـادت منه، وخسـرت أنا على المستوى الشخصي.

وفـي حفـل تخريـج دفعـة المعلميـن من كليـة المعلميـن في جـدة للعـام الدراسي ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ الذي حضره الدكتور الرشيد سألني: ماذا تفعل هنا؟ قلت: إنني هنا بقرار منه، وإنني هنا لقضاء بقية العام الدراسي وإن قراره قد صدر لذهابي إلى الولايات المتحـدة الأمريكية في تفرغ علمي لمدة عام.. فقال مازحاً لا.. التفرغ بدأ وانتهى، وأنت لا تعرف الحساب وسأصـدر قراراً لانتقالك إلى الرياض، لتشرف على أحد المشروعات التربويـة النوعية، تعتزم الوزارة تبنيـه في مدارسها، وقد وقع عليك الاختيار لقيادة هذا المشـروع.. فشكـرت أبا أحمد، واعتبـرت أن هذا تطييب خاطر، لكـن ترتيب الرحلة مع الأسـرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لم يتغير، ولم آخذ الأمر على محمل الجد. وفي ١٤٢٨/١٠/١٨هـ اتصل بي الصديق الدكتور محمد العصيمي وكيل وزارة التربية للتطوير التربوي سابقاً (الوكيل المساعـد لشؤون الطلاب آنذاك) ليخبرني بصدور قرار الوزير بإلغاء تفرغي العلمي ونقلي إلى الرياض للإشراف على مشروع التقويم الشامل للمدرسة، الـذي اقترحه فريق الوزارة الـذي زار مكتب المعايير التربوي فـي بريطانيا OFSTED الـذي يشرف على تفتيش المدارس هناك، وذلك لبناء نظام تقويمي مماثل في مدارسنا في المملكة، وترددت وأشار عليَّ أن أقبل العرض وأنتقل إلى الرياض ففعلت.

قابلـت أبا أحمد، وبحماسـه المعهود ورغبته فـي التغيير والعمل والإنتـاج والتطوير حدثنـي وطلب مني العمـل في مكتبه والارتبـاط المباشر به وأن أكـون قريباً منه ووعده بالدعـم.. وتـم تشكيل الفـرق: فريق العمـل المكون مـن أكاديميين ومشرفيـن تربويين ومديـري مدارس ومعلمين: كنوافذ نطل من خلالها على مختلف جوانب العملية التربوية التعليميـة، وكان برئاستي فريق آخر استشاري، اقترحت أن يكون برئاسة الدكتور محمد العصيمـي.. لكـن أبا أحمد رأى أن تكـون كلتا اللجنتين برئاستـي بالرغم من أن اللجنة الاستشارية تضم بعض الوكلاء، وأنا لا زلت مديراً عاماً.. وصدر قرار وزاري بذلك وبدأ العمل، واستمريت فيه قرابة الأربعة أشهر، أبحث عن أفضل السبل وأفضل البرامج، التي

يمكن الاستعانة بها بالإضافة إلى برنامج OFSTED لبناء نظام تقويمي متميز لمدارس وزارة التربية والتعليم في المملكة، وكانت مدة كافية ليكوّن الوزير رأياً حول عدم صواب قـرار تكليفي بالعمل، لعدم وصول أي معلومة إليه حول ما أفعل.. والحق أنني كنت أحتاج إلى تلك المدة للبحث والتقصي وتحديد الوجهة، وفي لقاء مديري التعليم الذي انعقد في أبهـا عام ١٤١٩هـ طلبت من الوزير أن توضع فقرة في برنامج اللقاء عن التقويم الشامل للمديـر، فوجّه على طلبي بعبارة فيها الكثير من المجاملة والقليل من الاقتناع (أرجو أن يُعطى الزميل فرصة في البرنامج) وفهم مغزى العبارة لدى المنظمين وتوصلت فوضعت لي عشرون دقيقة، ولم يهيأ لي السكن مع زملائي مديري التعليم.

وكان مـا كنـت آمل وأرجو وقـد وزعت في اللقاء كتيباً كنت قـد طبعت منه خمسمائة نسخـة عن التقويم الشامل للمدرسة وكان مفاجأة غاية في السرور عندما رأيت ردة فعل الوزيـر الذي كانت عيناه تلمعان فرحاً وابتهاجاً، ودوّى بضحكة سمعها الجميع عندما مر في ثنايا الحديث بعبارة تقول: استئصال كامل فريق المدرسة، عندما يكون هناك فساد أو خطر يُهدد الطلاب.. وقد بادر بافتتاح النقاش، وعبر عن سعادته بهذا الوليد الجديد، وعن أمله في أن يكون لبنة في تحقيق جزء من أحلامه في الارتقاء بالتعليم، وطلب بعض مديـري التعليم الانضمام إلـى فريق العمل في التقويم الشامل فوافق ونظر إليَّ ورفع يده محلقـاً بالسبابة والإبهـام بالإشارة المعروفة excellent، وشرفنـي بأمور عديدة لا زلت أعتـز بها وأذكرها بالعرفان، وكان عملي معه شرفاً كبيـراً تخلله تحد ونجاح وألم وأمل، وتعلمنـا منه الكثيـر من قبول التحدي والألم، فتحقيق الأحـلام والوصول إلى النجاح تلو الآخر لا يأتي مصادفة، فقد تعلمنا أن الحميمية وقبول الآخرين وسلامة الصدور شروط أساسيـة يجب أن تسير جنباً إلى جنب مـع الذكاء والعزم والتصميم والإخلاص، وفوقها جميعاً توفيق الله.

عملت مع أبي أحمد عشر سنين كانت من أجمل أيام حياتي، كان دعمه غير محدود.. كان يبحث عن الإيجابيات في عملنا ويبرزها مع أننا كنا نعرف أن بعض ما قدمناه يشوبه بعضـ السلبيـات، وكنا نعلم أنـه يعلم تلك السلبيـات.. كان هذا المفهـوم ثقافة ينتهجها

وتعلمناهـا، وأصبحت لدينا منهج حياة.. كان يقبل الإخفاقات ويعتذر لها ليدفع بالعاملين معه لمزيد من العمل، لأن مزيداً من الإخفاقات يعني مزيداً من المبادرات، ومن ثم مزيداً من الإنجاز.. كانت كلمته المشهورة (النائم لا يتعثر) منهجاً للعاملين معه للاستمرار في التفكيـر والعمـل والمبادرات والإنجاز.. كان دائم الابتسـام، ودوداً يملك روح الدعابة في أحلـك الظروف، حتى إن كل العاملين معه يذكرون بمزيد من الإعجاب أنه عندما يحتدم النقاش ويصل ذروتـه وتشتد الأعصاب، يتدخل بدعابة مناسبة في وقت مناسب بطريقة مناسبة، تذوب بها كل أشكال التوتر، التي كانت تسود ذلك اللقاء أو الاجتماع.

التقويم الشامل

عبَّـر لـي الوزير عن رغبتـه الملحة في تطويـر منظومة التربية والتعليـم كافة، ومن ضمنها تأسيس نظام نستطيع بواسطته التعرف بشكل علمي ودقيق على مسيرتنا التربوية، انطلاقـاً مـن مفهوم يقضي بأن يكون هنـاك وقفات تأمل وتدبر، يتـم من خلالها تقويم مـا تم تحقيقه مـن أجل التعرف على الإيجابيـات ودعمها، وتلافـي السلبيات وتفاديها، وذلـك عـن طريق معرفـة مسبباتها مما يساعد مـن ثم على توظيف الجهـود والطاقات والأموال توظيفاً يحقق الأهداف، التي ترمي إليها الخطط والبرامج التعليمية والتربوية. ومـن الوسائل المحققة لذلك استخدام أسلوب التقويم الشامل والمستمر لجميع عناصر العملية التعليمية والتربوية، التي تتم داخل المدرسة وفق معايير وضوابط معينة وبأدوات محددة.

أهمية التقويم الشامل

تنبـع أهميـة التقويـم الشامـل للمدرسة من كونـه وسيلـة علمية تعتمد علـى أدوات مقننـة، تتيح تقويم جميـع عناصر ومكونات المدرسـة (الإدارة، المعلم، الطالب، البيئة المدرسية... إلخ) على أحقاب متعاقبة ومستمرة، ومن هنا فإن التقويم الشامل للمدرسة هو أحد الأساليب المهمة التي تحقق الطمأنينة لجميع المهتمين بالتربية والقائمين على برامجها وخططها.

أهداف التقويم الشامل

يتمثل الهدف الأساس للتقويم الشامل للمدرسة في محاولة الإجابة عن تساؤل مهم، وهو إلى أي مدى أسهمت المدرسة في الرفع من مستوى تحصيل الطالب، وتنمية مهاراته وسلوكياته، كما رسمتها سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية.

كما أن التقويم الشامل يحقق أهدافاً جزئية أخرى من أبرزها:

١ ـ التعرف على مدى تحقق أهداف سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية عن طريق التأكد من أن المدرسة تؤدي أعمالها المنوطة بها.

٢ ـ تحديد مواطن القوة ومواطن الضعف في المدارس، حتى تتمكن من تحسين نوعية أدائها التربوي والتعليمي.

٣ ـ مراجعة وتطوير الخطط التعليمية الحالية، بناءً على ما تظهره نتائج التقويم الشامل للمدرسة.

٤ ـ إعطاء معلومات كافية عن المدرسة للعاملين فيها وللآباء ولإدارة التعليم وللوزارة، وذلك ليعمل كلّ فيما يخصه على الارتقاء بمستوى أداء المدرسة.

٥ ـ تشجيع العاملين في المدرسة للاستمرار في جهودهم الذاتية تطوير المدرسة وتحسين أدائها وتصحيح مسارها.

٦ ـ مساعدة المدرسة في المحافظة على الترابط بين العاملين فيها وأفراد المجتمع.

٧ ـ تحسين عملية التقويم نفسها ووضع قاعدة متينة يقوم عليها التقويم في المستقبل.

هذه إلماحة إلى مشروع التقويم الشامل لا يتسع المقام لأكثر منها، أُتبعها بإلماحة أخرى إلى مشروع المعجم المدرسي الذي ذكرته آنفاً.

المعجم المدرسي

بدأت قصة المعجم عندما تقدم أحد مستشاري معالي الوزير باقتراح لإعداد معجم للمرحلة الابتدائية فقط، وأحيل الأمر إلى لجنة التربية والتعليم بمدينة الملك عبد العزيز لدعمه، وتم الإعلان عنه وفق إجراءات المدينة، وتقدم فريقان أحدهما من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والثاني من وزارة التربية والتعليم، فاقترح الوزير أن يعمل الفريقان معاً تحت مظلة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، لإعداد معجم لجميع مراحل التعليم وليس للمرحلة الابتدائية فقط، وكان رأياً سديداً ستجني الأجيال القادمة ثمرته بإذن الله، واتصل فوراً بنائب رئيس المدينة لدعم البحث العلمي، وأبلغه هذه الرغبة على أن تستمر المدينة في دعم الجزء الخاص بالمرحلة الابتدائية، وتدعم الوزارة الجزء الخاص بالمرحلة المتوسطة والثانوية، وسار المشروع على بركة الله وتم التعاقد مع (مكتبة لبنان ناشرون) لكتابة المعجم ونشره تحت إشراف الفرق المعنية المكلفة من وزارة التربية والتعليم ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

أهداف المعجم

١ ـ نشر الثقافة المعجمية في أوساط الطلاب.

٢ ـ مساعدة الطالب على استيعاب نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وغيرها من النصوص وفهمها فهماً صحيحاً.

٣ ـ أن يكون المعجم مرجعاً لغوياً لواضعي وثائق المناهج ومؤلفي الكتب الدراسية.

٤ ـ كما يكون مرجعاً أساساً يستخدمه المعلمون في إعداد الدروس وفي عملية التدريس عندما تعرض المادة العلمية بلغة المعجم المناسبة للطلاب.

٥ ـ أن يكون مرجعاً أساساً للطلاب لتعلم الكلمات الفصيحة المناسبة لأعمارهم لزيادة ثرواتهم اللغوية.

٦ ـ أن يكون مرجعاً أساساً لمؤلفي كتب الأطفال وبرامج الأطفال التلفزيوية والإذاعية.

٧ ـ أن يكـون مرجعـاً أساسـاً لأوليـاء الأمور لمساعـدة أبنائهم وبناتهم فـي تعلم كلمات المعجم الفصيحة واستخدامها.

بدأ العمـل بالمعجم في ١٤٢٣/٣/١هـ لإعداد مدونـة المعجم، واستغرق ذلك ثلاث سنوات، وقد وصلت كلمات المدونة ثلاثة ملايين كلمة مصادرها:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ السنة النبوية المطهرة.

٣ ـ مختارات من الأدب العربي في عصور مختلفة.

٤ ـ مختارات من الإعلام المقروء والمسموع والمرئي في ٤ أحقاب مختلفة.

٥ ـ كتابات الطلاب في العينة المستهدفة.

وقد صنفت الكلمات في المدونة حسب تكرارها، ثم تم تنظيف الكلمات من السوابق واللواحـق، وخرجنا بواحـد وعشرين ألف كلمة تقريباً ستشـكل كلمات معجم المرحلتين المتوسطـة والثانويـة، وبدأ العمـل في كتابة المعجـم في ١٤٢٦/٣/٣هـ ونتوقع الانتهاء منـه خلال العاميـن القادمين إن شاء الله، ليكون علامة مميزة فـي تاريخ وزارة التربية والتعليم، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.

هـذا ما وددت الإشارة إليه من أهمّ الإنجـازات التي تحققت في مدة تشرفي بالعمل مع الدكتور محمد الرشيد، الذي كان لي ولزملائي: أخاً، وصديقاً، ومعلماً، ورئيساً، بارك الله في عمره وعافيته وعطائه.